Journal of Al-Tamaddun, Vol. 19 (1), 2024, 355-367
https://doi.org/10.22452/JAT.vol19no1.24

الأدب الفلسطيني وسيلة لاسترداد حرية القدس
(Palestinian Literature as a Mean of Recapturing the Freedom of al-Quds)

Nur Farhana binti Mohamad Zainol* & Rahmah Binti Ahmad H. Osman**

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان دور الأدب الفلسطيني في إبراز روح المقاومة من أجل استعادة حرية فلسطين. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي حيث قامت الدراسة على تحليل محتوى عدة قصائد وأشعار فلسطينية مختارة تركز على أبعاد المقاومة والنضال والدعوة إلى الجهاد من أجل الدفاع عن الأرض المقدسة ومن ثم استرجاع حريتها. وتوصلت الدراسة إلى بعض النتائج منها، أولًا: الأدب يبين ويظهر للعالم واقع المجتمعات، وأما الأديب فهو الناطق عن المجتمع، وفي أغلب الأحيان حينما يبتكر ويبدع بقلمه، يعبّر عن الحالة الواقعية التي تحدث في مجتمعه. وثانيًا: الشعب الفلسطيني شاهد الصراعات السياسية والاجتماعية منذ أكثر من خمسين عامًا إلى الآن، وإن معظم أدبائه وشعرائه وروائييه يستخدمون الكتابات الأدبية كوسيلة تعبير عن تجاربهم في مواجهة الاحتلال لأرضهم. وثالثًا: الأدب الفلسطيني يلعب دورًا مهمًا في نشر القضية الفلسطينية لتصل إلى كافة الناس في مختلف أرجاء العالم؛ لتشجيعهم على الدفاع عن الأرض المقدسة، ومن ثم تحريرها من قبضة المحتلين الإسرائيليين بأي وسيلة ممكنة.

الكلمات المفتاحية: الأدب الفلسطيني، القدس، المقاومة، الحرية، المحتلون الإسرائيليون

Abstract

This study aims to highlight the position and the role of the Palestinian literature in emphasizing the spirit of resistance and defiance for the sake of liberation of Jerusalem. The study relies on the analytical descriptive approach, which it analyses the content of several Palestinian poems which call to defend the land of Jerusalem. This study found that literature is a reflection of societies where it portrays the social realities of specific societies. And as Palestinian people witness a major political and social conflicts for more than fifty years up until now, hence some of them choose to express their experiences through literary writings. Therefore, this study concludes that Palestinian literature plays a very important role in proliferating the Palestinian issues to the people all around the world, encourages people to defend the land of Jerusalem and later on liberate it from the Israeli occupiers by any appropriate and suitable means.

***Keywords**: Palestinian literature, al-Quds, Jerusalem, resistance, liberation, Israeli occupiers*

المقدمة

يرتبط الأديب بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً وقوياً؛ لذلك دائما ما نجد هناك علاقة وثيقة بين ما يكتبه الأديب وبين ما يجري حوله من وقائع وأحداث، فهو لا يستطيع أن يتجاهل واقعه وبيئته في أعماله الأدبية أيّاً كان نوعها، سواء أكانت شعراً أم نثراً. والأديب حينما يكتب ويبتكر ويبدع فهو لا يكتب عن أحداث بعيدة عن واقع مجتمعه، بل إنه يكتب -في معظم الأحيان- عن أشياء حدثت أو تحدث حوله وفي بيئته، وإن كان التعبير عنها بأسلوب خيالي. فالأديب جزء من المجتمع يتأثر به كما يؤثر عليه، ومشكلته الخاصة جزء من مشاكل المجتمع، ومشاكل المجتمع جزء من مشكلته[1].

وقد أشار إلى هذا الكاتب حسين عمر دراوشة بأن الأدب «صورة واضحة ومرآة عاكسة للواقع»، وأما الأديب فهو «اللسان الناطق بحال الأمة وشعبه»، وهو «ابن بيئته»، و«يجسد الآمال ويعبر عن الآلام»[2]، وهذا دليل على أن الأديب أياً كانت جنسيته ومكان نشأته والزمن الذي ترعرع فيه فإنه مرتبط جداً بالمجتمع والصلة بينهما صلة متينة ومتماسكة ومتمكنة، بل لا نبالغ إن قلنا أنه لا أدب بدون أديب ولا أديب بدون مجتمع.

وحينما نتحدث عن الأدب الفلسطيني بشكل عام نجد أن معظم أدبائه وشعرائه تناولوا القضية الفلسطينية كمحور أساسي ورئيسي في إنتاجاتهم الأدبية، سواء أكانوا يقطنون في داخل فلسطين، أم في خارجها. وإذا رجعنا قليلًا إلى تاريخ القضية الفلسطينية سوف نجد أن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بدأ منذ مائة سنة تقريباً أي حينما احتلت بريطانيا –التي كانت في ذلك الوقت تحت رئاسة الجنرال اللنبي

* Nur Farhana binti Mohamad Zainol, PhD Student at The Department of Arabic Language and Literature, AbdulHamid AbuSulayman Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Literature, International Islamic University Malaysia, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia. Email: profarhana@gmail.com.
** Rahmah Binti Ahmad H. Osman (corresponding author), Professor at The Department of Arabic Language and Literature, AbdulHamid AbuSulayman Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Literature, International Islamic University Malaysia, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia. Email: rahmahao@iium.edu.my.

[1] الماضي، شكري عزيز (1993م)، *في نظريات الأدب*، بيروت: دار المنتخب العربي، ص88.
[2] دراوشة، حسين عمر (2019م)، "دور الأدب العربي الفلسطيني وتجلياته في مواجهة صراع الهوية"، *مجلة مداد الآداب*، عدد الخاص بالمؤتمرات 2018-2019، ص1174.

(General Allenby) –[3] هذه الأرض المشرفة عام 1917م نتيجة انهزام الحكومة العثمانية. وفي نفس السنة صدر وعد بلفور (Balfour Declaration)، الذي منح اليهود حق تأسيس وطن قومي خاص بهم في أرض فلسطين.[4] ثم وقعت النكبة عام 1948م، فأُعلن قرار قيام دولة إسرائيل في 14 مايو 1948م.[5] ثم في السنوات التالية أي في يونيو 1967 حدثت حرب الأيام الستة، أو ما يعرف باسم النكسة[6]، وكل هذا الصراع الذي شكّل "القضية الفلسطينية" مازال مستمراً منذ ذلك الوقت وحتى اليوم، بالرغم من وجود محاولات متكررة لحلها من قبل جهات متعددة، وكذلك نضال الشباب هناك ما زال مستمراً، بل صار أقوى يوماً بعد يوم. ففي ظل وجود هذه القضية والصراع الأيديولوجي والثقافي في أوجهه المختلفة والمتعددة، برز وتبيّن وتبلور وتشكل "الأدب الفلسطيني" مستهدفًا إثبات الوجود الفلسطيني وجذوره التاريخية، وهويته، وحضارته، ثم تجسيد روح القضية الفلسطينية وفتح آفاق رحبة ومسارات فكرية أمام الفلسطينيين أنفسهم من أجل بناء الذات والشخصية القيادية، فضلًا عن إبراز المنظمات السياسية الفاسدة، وبيان ما فعله الكيان الصهيوني المحتل من سرقات واحتلال واغتصاب وعنف وظلم وقسوة تجاه الفلسطينيين، عندئذ دعا الأدب الفلسطيني جماهير القراء إلى التضامن والتآزر والتجمع ضد قوات الاحتلال الصهيوني، وهذا ما حاول الأدباء الفلسطينيون إبرازه بأقلامهم وبكلماتهم[7].

ولأن الأدب مرآة للمجتمع وعاكسة للواقع كما ذكرنا سابقًا، فإن معظم الأدباء الفلسطينيين، كانوا يكتبون عن الأحداث الواقعة داخل الأراضي الفلسطينية –كبقية الأدباء الذين يكتبون عن الأحداث التي تدور في أراضيهم– لا يمنعهم من ذلك وجودهم في المنفى بعيداً عن أراضيهم، معبرين عن مشاعرهم بأسلوب عذب مشوق ليستشعر القراء ما يواجهه المُستعمَرون من صعوبات وحصار وحياة مقيدة مع وجود الاحتلال، وقد «اعتبرت النكبة الفلسطينية بداية رحلة اللجوء والشتات، حيث مثلت التاريخ محاولة توطين العائلات الفلسطينية كجماعات في مخيمات اللاجئين في العراق وسوريا ولبنان وغزة وغيرها من الدول العربية»[8].

وهناك بعض الأدباء مثل توفيق زياد، وسامح القاسم، ورشيد حسين، وسالم جبران، ومحمود درويش[9] كتبوا عن أدب السجون؛ لأنهم اعتُقلوا وسجنوا وسُلبوا حرياتهم، فلم يمنعهم الاعتقال عن التعبير عما يدور في أنفسهم وأذهانهم بل ظلوا مستمرين في كتابة ما يعانونه من آلام بسبب الاحتلال رغم منعهم من الكتابة؛ لإيمانهم بأن الكتابة سلاح من أسلحة الدفاع عن الوطن، فهي ليست حبر على ورق فقط بل هي سلاح فعّال في حل الأزمات، والدليل على هذا أمران: الأمر الأول: أن أدب السجون لديه قدرة أكبر على التعبير عن نفسية السجين وما يتجرعه من عذاب في سجون العدو.[10] الأمر الثاني: أن الكتابة من وجهة نظر المعتقل تعد متنفسّاً وباباً من أبواب استرداد حرية وطنه. مما يعني أن مثل هذه المؤلفات لها تأثير قوي على المجتمع الفلسطيني، وقد أدركت سلطات الاحتلال الإسرائيلي ذلك؛ فحاولت جاهدة حظر نشر هذه الكتابات ومنع وصولها إلى يد الآخرين[11]. أما الأديب الفلسطيني غسان كنفاني فهو كما أشار إليه الباحثان يحيى حسن ونوريتة عمر قد يستخدم رواياته وسيلةً للتعبير عن حالة شعبه الفلسطيني، وقد كان ألّف عددا كبيرًا منها، فالرواية عنده ليس مجرد واسطة للتعبير، وإنما رمز للمقاومة والنضال[12]، وهكذا كان الأدب عند أدباء فلسطينيين آخرين.

ومن الجدير بالذكر أن الأدب الفلسطيني قبل وقوع الاحتلال والصراع، كان قد تناول مضامين شعرية أخرى مثل مضمون الحب كبقية النتاجات الأدبية، إلا أنه بعد الاحتلال الصهيوني له تغير، فأصبح الأدب الفلسطيني منذ ذلك الحين يركز على مواضيع المقاومة والجهاد ضد هذا الاحتلال، والثبات في النضال والمقاومة من أجل بقاء فلسطين، ومن أجل استعادة حريتها من دنس المحتل الصهيوني[13]، وقد صدرت الكتابات الأدبية الإبداعية الحاملة لهذه المعاني بشكل كبير ومتنوع، والتي لم تقتصر على الأدباء في ساحة الأرض الفلسطينية فحسب، وإنما تعدت إلى خارج فلسطين أيضاً، بل إلى أنحاء العالم كذلك. فالأديب الملايوي الشهير؛ عبد الصمد محمد سعيد (Abdul Samad Mohamed Said)مثلًا كان يكتب شعراً خاصاً للتعبير عن واقع فلسطين والذي كان بعنوان "Anak-anak Palestina" (أبناء فلسطين) (Children of Palestine) والذي ترجمه المترجم الأسترالي هاري أفلينج (Harry Aveling) إلى اللغة الإنجليزية[14]. وإذا نظرنا إلى إندونيسيا فسوف نجد الأديب ديني كورنيا (Dheni Kurnia) الذي كتب عن فلسطين أثناء عمله كصحفي في أرض غزة، وقد كان شعره بعنوان: "Talang di Langit Filastin" (تالغ في سماء فلسطين) (Talang in the sky of Palestine) وتم نشره عام 2018م[15]. ثم نجد الأديب ليليان روسنغرتن (Lillian Rosengarten)، من أصل ألماني كتب عدة أشعار حول فلسطين منها: "Victim" (ضحية)، و"To Gaza With Humble Apologies" (إلى غزة مع اعتذارات متواضعة)، و"Wild Woman Laments" (رثاء المرأة البرّيّة)، و"Palestine, I hear you" (فلسطين، أسمعك)، و "Rains White Phosphorous Here" (أمطار الفوسفور الأبيض هنا)، و"My Bali, My Palestine" (باليي، فلسطيني)، وكذلك "No

---

[3] Mohd Roslan Mohd Nor (2010), "Konflik Israel-Palestin dari aspek sejarah moden dan langkah pembebasan dari cengkaman Zionis," *Jurnal Al-Tamaddun*, Vol.5, pp. 73-74.

[4] وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (د.ت)، *يوم نكرى وعد بلفور*، تم استرجاعها في 15 نوفمبر 2022م، https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=2n8Bx7a27458074050a2n8Bx7.

[5] وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (د.ت)، *نكبة عام 1948م*، تم استرجاعها في 16 نوفمبر 2022م.، https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=2218.

[6] الشريف، ماهر (د.ت)، الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، *حرب حزيران/يونيو 1967 نقطة تحول في الصراع العربي- الإسرائيلي*، تم استرجاعها في 16 نوفمبر 2022م، https://www.palquest.org/ar/highlight/284/%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%AD%D8%B2%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%8A%D9%88%D9%86%D9%8A%D9%88-1967.

[7] حسين عمر دراوشة (2019)، المرجع السابق، ص1174-1175.

[8] Eid, Iyyad Muhammad & Norazzura Mohamad Diah (2018), "The Palestinians: Seventy Years of Refuge and Displacement," *Jurnal Al-Tamaddun*, Vol. 13, No.2, p. 171.

[9] محمود موسى محمود زياد (2006)، *الأدب الفلسطيني في سجون الإحتلال الإسرائيلي 1987م – 2000م*، فلسطين: جامعة برزيت، ص4.

[10] إيمان مصاورة (2020)، *أدب السجون في فلسطين دراسة توثيقية*، شبكة محررون الاصدار الاكتروني، ص3.

[11] محمود موسى محمود زياد (2006)، المرجع نفسه، صXI.

[12] Alwadhaf, Yahya Hassan & Noritah Omar (2011), "Narrating the Nation and Its Other: The Emergence of Palestine in The Postcolonial Arabic Novel," *The Southeast Asian Journal of English Language Studies*, Vol.17, Special Issue, pp. 109-118.

[13] Hijjawi, Sulafa (2009), *Trans. Poetry of Resistance in Occupied Palestine*, Baghdad: Minister of Culture, pp. 5-6.

[14] A. Samad Said (1942), *Ballad of The Lost Map*, Harry Aveling (trans.), Malaysia: Institut Terjemahan Negara Malaysia Berhad. Original work published in 1935.

[15] Nur Farhana Mohamad Zainol & Nursafira Ahmad Safian (2021), "A Comparative Study of Poetic Language Between "Āsyiq min Filasṯin" By Mahmoud Darwish and "Talang di Langit Falastin" by Dheni Kurnia," *Asian Journal of Civilizational Studies*, Vol. 3, No. 2, p. 5.

"Freedom in the Land of False Prophets (لا حرية في أرض الأنبياء الكاذبين)[16]. وفي هذا دليل على أن قضية فلسطين ليست قضية خاصة بالأدباء الفلسطينيين فقط، وإنما هي قضية جميع الأدباء الذين يتنفسون رائحة الحرية عبر أقلامهم، أياً كانت جنسياتهم. هنا ينقدح سؤال؛ هل للأدب الفلسطيني دور خاص في مواجهة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وهل الأدب الفلسطيني فعلًا يُعتبر وسيلة لاستعادة حرية القدس؟ انطلاقًا من هذا السؤال، تكمن أهمية هذه الدراسة في إثراء الموضوع المتعلق بالتجربة الأدبية، وعلاقته بعناصر القضية الفلسطينية، وأهميته في استرداد حرية القدس. ويستخدم هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك على طريق بحوث المكتبات (Library Research)، ومن الجدير بالإشارة أن الباحثتان تواجهان التحديات في محاولتهما البحث عن نصوص أصلية لقصائد وأشعار مدروسة في هذا البحث، سوى ما تم إدخاله في كتب أخرى بوصفها مصادر ثانوية، فاعتمدت الباحثتان على هذه المصادر الثانوية من أجل الحصول على البيانات المتعلقة بموضوع البحث، كما اعتمدت الباحثتان على ديوان الشعر الإلكتروني المتوفر عبر الإنترنت لأن الباحثتان لم تجداه في النسخة المطبوعة. ثم بعد جمع البيانات، قامت الباحثتان بفحصها ومن ثم تحليلها تحليلًا وصفيًا يركز على المقاومة والنضال والدعوة إلى الجهاد المتبلور في القصائد والأشعار، وعلاقتهما بعناصر استرجاع حرية القدس.

لمحة عن الأدب الفلسطيني

«الأدب الفلسطيني من أشد الآداب التصاقاً بشخصية شعبه، وأهدافه في التعبير عن همومه تعبيراً حياً، وعن العطاء الذي قدمه الفلسطينيون لوطنهم وقدرتهم على الصمود والمقارنة والبذل والتضحية. وأصبحت أركان هذا الأدب، من شعر ورواية وقصة قصيرة ومقالة ونقد وبحث ودراسة، في مستوى لا يقل عما بلغته الآداب العربية المتقدمة»[17].

ومنذ سنوات طويلة شهدنا ظهور الكثير من الإنتاجات الأدبية من قِبل أدباء فلسطينيين، نثرًا وشعرًا. والجدير بالإشارة أن الأدب العربي في فلسطين قبل الكارثة عام 1948م كان متأثراً بالأقلام السورية واللبنانية والمصرية الذين كانوا في ذلك الوقت روّاداً للأدب العربي[18]. ومن الأدباء الفلسطينيين الذين اشتهروا في هذه الفترة إبراهيم طوقان، وإسعاف النشاشيبي، وعبد الرحيم محمود، ومطلق عبد الخالق، وأبو سلمى، وجميل البحري، وخليل بيدس، وغيرهم كثير[19].

ثم بعد النكبة عام 1948م ظهر وتطور نوع آخر من الأدب يعرف بأدب المنفى، نتيجة لتهجير الآلاف إلى المنفى والشتات، وكان لهذا النفي أثر كبير في نفوس الأدباء الفلسطينيين مما دفعهم إلى إصدار إنتاجات أدبية تتعلق بفكرة الوطن وقلق الهوية والانتماء[20]، أما بالنسبة إلى أحداث النكبة، فلقد ألزمت هذه المأساة اتساعاً موضوعياً وعمقاً جديداً على فن القصيدة. ومن الأدباء الفلسطينيين الذين ساهموا في ميدان الأدب في هذه الأوقات غسان كنفاني، وجبرا إبراهيم جبرا، وتوفيق زياد، ومحمود درويش، وسميح القاسم، ومريد البرغوثي، وعلي الخليلي[21]، وهذه الأسماء غيضٌ من فيضٍ، والواقع أن الأدباء الفلسطينيين في ذلك الوقت كانوا كُثُراً ولم يكونوا قلة.

وفي عام 1987م، صارت الانتفاضة موضوعاً يشغل الأدباء –خاصة في ساحة الشعر الإسلامي–، حيث كانوا يبعثون في نفوس القراء الأمل بقرب الانتصار، وشعر الانتفاضة لا يعني الشكوى، بل هو رمز من رموز ثورة الشعب الفلسطيني يدعو إلى الأمل ويدعو إلى العودة وتحرير الوطن[22].

ولا يمكن الاقتصار على موضوع تاريخ الأدب الفلسطيني وأدبائه دون الالتفات إلى الموضوعات التي تناولها الأدباء في هذا الجانب، ولهذا فإن الباحثة أثناء دراستها لموضوعات الأدب الفلسطيني قد استفادت كثيراً من الكتاب الذي ألّفه الكاتب والشاعر والأكاديمي مأمون فريز جرار بعنوان "الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث"، حيث لاحظت أنه كان يركز على الأدب الإسلامي الفلسطيني وليس على الأدب الفلسطيني بشكل عام، فذكر أن الموضوعات أو الأغراض الشعرية للشعر الإسلامي الفلسطيني خاصة في أوقات ما بعد النكبة تركز على عدة أمور: الأمر الأول: تصوير المأساة. حينما سقطت فلسطين عام 1948م وأعلن قرار قيام دولة إسرائيل، تشتَّتَ كثير من الفلسطينيين إلى البلدان المجاورة، فكان من بين الشعراء مَن اهتم بغرس القيم الإسلامية في القلوب والعقول. والأمر الثاني: استدعاء الجهاد والمقاومة؛ لتحرير الديار والمساكن[23]. والأمر الثالث: القدس. فالقدس جزء من فلسطين، وفيها المسجد الأقصى الذي كان أول قبلة للمسلمين، كما كان شاهداً على مسرى النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى غيرها من المزايا التي تمتاز بها القدس عن غيرها من المدن، ولكنها منذ سنوات طويلة وإلى يومنا هذا تقع تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي؛ لذلك أكثر الشعراء المسلمون من الكلام عنها، للتعبير عن مآسيها[24].

ثم من الموضوعات الشعرية الأخرى التي تناولها الشعراء: أسباب النكبة وطريق العودة إلى فلسطين. ولأن الأدباء والشعراء المسلمين ينظرون إلى الحياة بنظرة إسلامية فقد حاولوا إبراز الأسباب التي أدت إلى النكبة، وكذلك أسباب فشل محاولة استرداد حرية فلسطين، فظهر من خلال إنتاجاتهم الأدبية أن السبب الرئيسي كان ترك الإسلام، واتباع الشهوات والهوى، وكذلك التأثر بالأفكار المستوردة[25].
إضافة إلى ذلك، فإن من الموضوعات التي تناولها الأدب الإسلامي الفلسطيني كما ذكر الكاتب مأمون فريز جرار هي القضايا الإسلامية والدعوة الإسلامية؛ لأن القضايا الإسلامية تعد قضايا جميع المسلمين أينما كانوا، وهذا ما أكده الكاتب حيث ذكر أن قضية الأقصى تؤثر على المسلمين في خارج فلسطين، وقضية كابول تؤثر على المسلمين خارج كابول، ومثلها القضايا الأخرى في بلاد المسلمين المتعددة.

---

[16] Rosengarten, Lillian (n.d), *Poetry*, retrieved on 11th January 2023, https://www.lillianrosengarten.com/poetry.

[17] الموسوعة الفلسطينية (2013م *الأدب*، تم استرجاعها في 23 نوفمبر 2022م، https://www.palestinapedia.net/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d8%af%d8%a8/.

[18] غسان كنفاني (د.ت)، *أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1958-1966*، بيروت: منشورات دار الآداب، ص10.

[19] الجيوسي، سلمى الخضراء (د.ت)، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، *مقدمة "الأدب الفلسطيني" في العصر الحديث*، تم استرجاعها في 23 نوفمبر 2022م، https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=2482.

[20] نصيرة، شينة (2021م)، "المنفى بعيون فلسطيني: مفهوم المنفى في فكر إدوارد سعيد"، *مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية*، المجلد 6، العدد 2، ص45.

[21] الجيوسي، سلمى الخضراء (د.ت)، المرجع نفسه.

[22] الحمد، حليمة بنت سويد (2003م)، *القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر*، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، ص6.

[23] جرار، مأمون فريز (1984م)، *الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث*، عمان: دار البشير للنشر والتوزيع، ص27-28.

[24] المرجع نفسه، ص60-61.

[25] المرجع نفسه، ص42-43.

فالشعراء المسلمون الفلسطينيون كانوا يسجلون هذه القضية للأمة الإسلامية في إنتاجاتهم الأدبية. أما بالنسبة إلى الدعوة الإسلامية، فكانوا يكتبون حول المحن التي يواجهها الدعاة المسلمون في طريق الدعوة إلى الله، وفي رثاء شهداء الدعوة الإسلامية[26].

ومن الموضوعات الأخرى التي تناولها الشعراء ما يتعلق بالمرأة والشباب، فكتبوا عن هذين الفئتين بكلمات مؤثرة. أما المرأة فإنهم بيّنوا عِظَم مكانتها وأهمية الدور الذي تقوم به في المجتمع. وأما الشباب فقد اعتبروهم أمل الأمة وعدة المستقبل، ووجّهوا إليهم خطابات مباشرة تحذّرهم من الانحرافات التي يدبرها أعداء الإسلام لهم لإفسادهم ولتدمير الأمة الإسلامية[27].

أما الباحثة سلمى الخضراء الجيوسي فذكرت في دراستها "مقدمة الأدب الفلسطيني في العصر الحديث" أن الأدب الفلسطيني يتمحور في موضوعاته حول النكبة، والذي يحمل في طياته مواقف متنوعة منها: الرؤية المأساوية حيناً، والرؤية البطولية حيناً آخر، والمقاومة، والإيمان بالانتصار، والمأساة التي يواجهها المهاجرون الفلسطينيون، ووضعهم كشباب لا وطن لهم، وغير ذلك الكثير[28].

ولهذا ترى الباحثة أنه ليس هناك فرق واضح بين الأغراض أو الموضوعات التي يطلق عليها اسم الأدب الإسلامي الفلسطيني، أو الأدب الفلسطيني بشكل عام من حيث عناصر المقاومة والنضال، ومن حيث الهدف، فكلاهما يدور حول موضوع الجهاد والكفاح، ويركزان على بثّ روح المقاومة لدى القراء. صحيح أنه لا بد من وجود فرق بين الأدب الإسلامي وبين الأدب الذي لم يطلق عليه هذا الاسم – خاصة من حيث المفهوم والخصائص والقضايا والمجالات–؛ لهذا تساءل الكاتب مأمون فريز جرار في دراسته بعنوان "الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث": «لماذا يغيب الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث عن أذهان القرّاء وعيونهم؟ لماذا لا يُعرف من الشعراء الفلسطينيين إلا الاتجاه اليساري والماركسي؟»[29]، وهذا بالتأكيد يحتاج إلى دراسة عميقة وطويلة، لكن الباحثة في هذه الدراسة لاحظت أن الأدب الفلسطيني –الإسلامي أو الذي لم يطلق عليه هذا الاسم– في معظمه يهدف إلى إبلاغ العالم الصامت عما يحدث في داخل الأرض المقدسة، ويهتم بنشر الوعي لدى القراء عن القضية الفلسطينية، ثم إثارة روح الجهاد لديهم، وأخيراً التحرك نحو الحرية.

الأدب الفلسطيني كوسيلة لاسترداد حرية القدس

مما لا شك فيه أن أرض القدس المباركة جزء من العقيدة الإسلامية، ولهذا فإن العلاقة بينهما قوية ومتينة، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في أول سورة الإسراء فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[30].

ولأن الأدب الفلسطيني تتمحور موضوعاته حول قضية القدس –خاصة الأدب الإسلامي الفلسطيني فإنه في سياقه الديني يدعو إلى قول الحق، وإظهار المبادئ الإسلامية التي تمثل الهوية العربية الإسلامية الفلسطينية لأجل بقائها وسيادتها، وكذلك إظهار مكانة الإسلام في تحقيق نصرتها–[31]، فإن لهذا دوراً مهماً في الكشف عن هذه الجوانب، بل إن حادثة الإسراء والمعراج تعد أساس الأعمال القصصية التي تناولها الأدب باللغة العربية وغير العربية جيلاً بعد جيل[32].

فظهرت هنالك القصائد والأشعار التي تتحدث عن القدس وعلاقتها بعقيدة المسلم من قبل الشعراء المسلمين الفلسطينيين، ومنهم الشاعر عدنان النحوي الذي ذكر بركة أرض المقدس في قصيدته التي بعنوان"يا قُدسُ":

يا قُدسُ ! يا نُورَ النُّبوَّةِ أشرقَتْ	في الدَّاجياتِ ويَا صَفاء المَنْهَلِ
كلُّ النَّبُواتِ التِي بُعِثَتْ سَعَتْ	شَوقاً إليكِ بِنُورِهَا المُتَهلِّلِ
كمَ أشرَقَتْ في كلِّ ساحٍ آيةٌ	للهِ تُنْبِئُ بالنَّبي الأكْمَلِ
فَإليكِ أُسْرِيَ بالنَّبيِّ مُحَمَّدٍ	لِيَؤُمَّهُمْ! يَا للإمامِ الأعدلِ
ثُمَّ ارتَقَى لمعارجٍ موصُولةٍ	بَلَغتْ بهِ أعلى رُؤَى أو مَنْزِلِ
دارٌ مبارَكَةٌ وأنفاسُ الهُدى	فيها على رَوْضٍ أَغَنَّ مُظَلَّلِ
المسْجد الأقْصَى بِساحكِ! يا له	من مَسْجِدٍ بِهُدَى العُصُور مُجَلَّل
بالحقِّ بالإسلام بالدين الذي	حَمَلتْهُ كلُّ نُبُوَّة أو مُرْسَل[33]

وقد صور لنا الشاعر من خلال هذه القصيدة مدى ارتباط القدس بالدين الإسلامي، فتحدث تارة عن الأنبياء والنبوة، وعن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتارة أخرى تحدث عن آية قرآنية، ومرة عن الإسراء والمعراج، ومرة أخرى عن المسجد الأقصى، وكل ذلك يؤكد بأن الحديث عن القدس سيؤدي في نهاية المطاف إلى الحديث عن العقيدة الإسلامية باعتبارها جزءًا منها، فلا بد لعامة المسلمين إذن من الجهاد لاسترداد حريتها من أعداء الإسلام، ولعل هذا ما حاول الشاعر عدنان النحوي أن يوصله إلينا من خلال أبياته السابقة.
وفي صورة أخرى، ذكر الشاعر محمد صيام عن دعوته الناس للجهاد والمقاومة، فقال:

---

[26] المرجع نفسه، ص70-74.
[27] المرجع نفسه، ص81-84.
[28] الجيوسي، سلمى الخضراء (د.ت)، المرجع نفسه.
[29] جرار، مأمون فريز (1984م)، المرجع نفسه، ص5.
[30] القرآن الكريم.
[31] دراوشة، حسين عمر (2019م)، المرجع نفسه، ص1175.
[32] الساريسي، عمر عبد الرحمن (1996م)، *مقالات في الأدب الإسلامي*، عمان: دار الفرقان للتشر والتوزيع، ص183.
[33]ديوان (د.ت)، *قصيدة يا قدس!*، تم استرجاعها في 17 ديسمبر 2022م، https://diwandb.com/poem/%D9%8A%D8%A7-%D9%82%D8%AF%D8%B3.html.

فالجهاد الجهاد يا أيها الناس بعزم وقوة ومضاء
تحت رايات خالد وصلاح وشعارات سيد الأنبياء
فطريق الجهاد بالرغم مما فيه من شقوة ومن أعباء
هو ما لن نحيد عنه فبعدا لدعاة الحلول والجبناء[34]

فمن خلال هذه الأبيات، ذكر الشاعر أن الجهاد والمقاومة على الرغم من صعوبتهما وعسرهما، إلا أنهما أمران حتميان لا مفر منهما، حينئذ دعا الشاعر الناس إلى الكفاح والنضال بكل قوة وإصرار؛ لأن الجهاد هو الطريق الذي اقتفاه الأبطال والمجاهدون والفاتحون في الزمن القديم وهو الطريق الوحيد للعودة إلى القدس، وتحريرها من الاحتلال الإسرائيلي[35].

أما الشاعر عبد الغني التميمي فقد وظف القيمة الوطنية كمكون أساسي في التعبير الأدبي من أجل إثارة روح الجهاد لدى القراء حيث قال:

مزقونا وانثروا اللحم على كل طريق لا تبالوا، حرقونا وارقصوا حول الحريق
وزعونا في الصحاري، أطعمونا للحواجز كل هذا في نظام الغاب جائز
غير أنا لن نبيع القدس أو أي مدينة هل يبيع المؤمن الصادق للأعداء دينه؟[36]

والشاعر من خلال هذه الأبيات استخدم ضمير واو الجماعة دليلاً على أن هذه الأبيات ليست صوته وحده، وإنما صوت الوطن كله[37]، فهم على استعداد للاضطهاد ما دامت القدس لم تباع، وهذا بلا شك يدل على مدى اهتمام الشاعر بأرض القدس المقدسة. ثم واصل الشاعر قصيدته لإبدائه عدم رضا الفلسطينيين بالظلم الذي حصل في داخل الأراضي المقدسة، والأبيات كما يلي:

ما رضينا، فقبول الظلم ظلم، والرضا بالعار عار قد نذرنا دمنا لقنديل الجهاد
حلنا يأتي عزيزا فوق صهوات الجياد ليس في الأكفان محمولا إلى «أرض الميعاد»[38]

فالشاعر نذر لربه بأنه وكل أهل القدس سوف يقاتلون ويقاومون لأجل القدس، وسيعودون إلى ديارهم على ظهور الخيل مفتخرين بالعودة، وهذا دليل على مدى بسالة وثبات أهل القدس في الدفاع عن هذه الأرض المقدسة.

ثم وجدنا الشاعر محمد محمود جاد الله في قصيدته "اليوم قد نطق الحجر" يقنعنا بالصبر على درب الجهاد الطويل، وأن هذا الاحتلال ضئيل وقصير المدة، والأبيات كما يلي:

إن الضعيف كما ترو ن، يظلّ دوماً مُحتقَر
فَلْتصبِروا يا إخوتي والله ينصر من صبر
درب الجهاد طويلة والذل درب مُختصَر
أين السلام ولا سلا مةَ من حُثالات البشر؟
إن الذي يرجو السلا مَ، من اليهود قد انتحر[39]

هنا الشاعر يحثنا بألا نتوقع أبدًا السلامة من المحتلين اليهود، فإن من فعل ذلك فقد مات منتحراً، وهذا التشبيه يدل على أنه يرفض رفضًا شديدًا التعاون مع اليهود بأي طريقة من الطرق، ولعله يتمنى من القراء أن يصبروا كما صبروا، لأن النصر آت لمن صبر.

ثم في القصيدة الأخرى المعنونة ب "قتل...بدم بارد" صور لنا الشاعر نهاد يونس درويش الواقع الذي شاهده على أرض القدس أي قتل الفلسطينيين بلا رحمة وشفقة، ولهذا جاء في بداية بعض الأبيات كلمة "قتلوك" ليدل على هذا الأمر:

قتلوك رغم صراخك المحزون وجه يصيح بأصغريه: دعوني
قتلوك!! والأب ذاهل مترنح ما نفع قلب أب ودمع حنون؟[40]

وفي البيت الآخر قال الشاعر:

قتلوك في ظل السلام ليكتبوا أن السلام الحق وهم جنون[41]

---

[34] جرار، مأمون فريز (1984م)، المرجع نفسه، ص57.
[35] المرجع نفسه.
[36] بوابة الشعراء (د.ت)، *قصة القدس: عبد الغني التميمي*، تم استرجاعها في 1 يناير 2024م، https://poetsgate.com/poem.php?pm=7787&name=%D8%B9%D8%A8%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%BA%D9%86%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%85%D9%8A%D9%85%D9%8A&Title=%D9%82%D8%B5%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3.
[37] دراوشة، حسين عمر (2019م)، المرجع نفسه، ص1177.
[38] المرجع نفسه.
[39] الجابر، عدنان بلبل والحكواتي، ماجد (2001م)، *ديوان الشهيد* محمد درة، ج 3، كتاب إلكتروني: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ص239.
[40] المرجع نفسه، ص485.
[41] المرجع نفسه.

وفي البيت الذي يليه قال:

قتلوك هل تدري لماذا؟ إنهم لمحوك جيل المسجد المرهون[42]

وفي الأبيات الأخيرة، أقسم الشاعر بأنه سوف يجاهد ويقاوم قدر استطاعته من أجل القدس، وهي كما يلي:

قسماً بروح الطفل تُوقظ أمـةً قسماً بسيف الشام والمأمون
سنظلّ في ساح الجهاد موانعاً أجسادنا تحمي ألوف حصون
ونظل يا قدس العروبة خنجرًا يدمي فلول المجرم الملعون
أرواحنا تفدي قداسة، قدسنا إنا وهبناها، ومنذ قرون[43]

فمن خلال هذه الأبيات يقول الشاعر بكل حماسة وشجاعة أنه بحصانه وبخنجره وبقسمه ووعده سيرفع عن القدس دنس المحتلين الملعونين. وهنا نلاحظ أن هذه الكلمات القوية ستؤثر على القراء إلى حد ما للدفاع عن أرض القدس، وستثير مشاعرهم للانتفاضة والمقاومة والجهاد.

أما الشاعر ياسين فاعور فكان يتحدث عن الشهيد محمد الدرة في تعبيراته الفنية. وقد عرفنا أن الشهيد محمد الدرة صاحب 12 عاما استشهد في حضن والده عام 2000م في اليوم الثالث من اضطرام انتفاضة الأقصى[44]، وكان مصور الوكالة الفرنسية للأنباء يسجل هذه اللحظة بكامرته حيث شاهد العالم ما تمارسه سلطات الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني[45]. فكأن الشاعر يعبر عن مونولوج محمد الدرة حين قال:

أبتاه ما مات الصغير.. مات الضمير
أنا لم أموت.. أنا لم أزل شبلًا يقاوم
في صدر أحبابي مُقيما
أنا لن أهون ولن أساوم
عبئًا يحاول حقدهم حلا عميقا
أنا لم أزل في صحوة الأحرار نبراسا عظيما
إن يقتلوني غيلة.. أو يطمسوا حقي القديما
أو يمطروني حقدهم مطرا غزيرا
أو يحفروا في الصدر أخدودا أليما
سأظل بركانا يقاوم
في صدر أحبابي مُقيما[46]

وهذه الأبيات صورت لنا مدى قوة وعظمة الحماسة التي جاءت من هذا الطفل الفلسطيني الشجاع. فعلى الرغم من صغره إلا أن روح المقاومة تجري في داخله وكأنه شاب وليس طفلا. فهناك قال بكل بسالة وجسارة بأنه لن يستسلم أبداً، مع أنه قُتل، وحقه سُلب، ومع أنه مكره من قبل الجيش الإسرائيلي، إلا أنه سيظل قائما حازما باقياً على أرض القدس المباركة، وسيظل يدافع عنها بكل قوة، بل أقوى من قبل. وفي نهاية أبيات القصيدة قال الشاعر بأن هذا الطفل إذا قُتل واستُشهد فسيكون هناك ألف مغوار آخر يقاتل ويقاوم من أجل القدس:

إن يقتلوني يا أبي
تلد الحرائر ألف
مغوار يقاوم[47]

وإذا تعمقنا في هذه الأبيات الأخيرة، سنجد أن الشاعر يدعونا للدفاع عن هذه الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر، حتى الطفل الصغير متحمس لحماية القدس، فكيف بهؤلاء الأكبر سنًا منه؟ فكل واحد منا مغوار ومجاهد، وعلى كتفنا مسؤولية الدفاع عنها من المحتلين الملعونين، ولعل هذا ما حاول الشاعر أن يوصله إلينا من خلال هذه الأبيات المنولوجية.

ثم في صورة أخرى، نادى الشاعر سليمان غزال إلى الانتفاضة في قصيدته "انتفاضة الأقصى"، حيث قال:

سطِّر بدمِّك آيات البطولات يا شعبنا الحرّ في أرض الرّسالاتِ
وطهِّر المسجد الأقصى وصخرته من عصبة الفسق أعداء الدياناتِ
وعلِّم الناس أن النصر مرتهَنٌ بقوة البأس لا رفع الشعاراتِ
وأن من يطلب الأمجاد تأت له بصادق الجهد لا زيف الدّعاياتِ[48]

---

[42] المرجع نفسه، ص486.
[43] المرجع نفسه، ص487.
[44] وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (2022م)، محمد *الدرة..22 عاما مات الولد برصاصة*، تم استرجاعها في 21 ديسمبر 2022م، https://www.wafa.ps/Pages/Details/56205.
[45] الجابر، عدنان بلبل والحكواتي، ماجد (2001م)، المرجع نفسه، ص1.
[46] المرجع نفسه، ص556-557.
[47] المرجع نفسه، ص558.
[48] الكحلوت، يوسف شحدة محمد (د.ت)، *مختارات من شعر انتفاضة الأقصى*، ج1، تم استرجاعها في24 ديسمبر 2022م، http://site.iugaza.edu.ps/ykahlout/extra/course1068/.

هنا دعا الشاعر شعبه البطل للجهاد بصدق لا بمجرد رفع الشعارات، وزيف الدعايات، وإنما لنصرة القدس وتحريرها من الاحتلال. وصور لنا أيضاً من خلال الأبيات أن النصر يأتي بقوة البأس والبسالة والحماسة والصلابة وهذا ما يحتاجه الشعب للمقاومة. ثم في الأبيات التي تليها قال الشاعر:

يا قادة النصر يا آساد أمّتنا	منّا لأشبالكم أزكى التحياتِ
فقد جعلتم أساطير الفداء سناً	يضيء مثل بدورٍ في السّمواتِ
وأنتم قلةٌ والله ناصركم	وكثرة البغي تُمْنى بالخساراتِ
والعرب والمسلمون اليوم قد جَبُنوا	واستُضْعِفوا حينما صاروا دويلاتِ[49]

من خلال هذه الأبيات، قدم الشاعر لهؤلاء الأبطال والمجاهدين أوفى تحية، باعتبارهم أسوداً وأشبالاً يدافعون عن أرض القدس، وعلى الرغم من قلة عددهم، وكثرة أعدائهم، إلا أن كثرة العدد لا تنفع شيئا إذا لم يكن الله هو الناصر والمعين، فالله ينصر من ينصر دينه، والذين يتعاملون مع أعداء الإسلام فسيضعفون ويحتقرون.

ثم نرى إبداعية الشعراء من داخل قطاع غزة الذين غنوا أشعارهم بتعبيرات أكثر عمقاً، حيث إن الحصار في مدينة غزة ليس كمثل الحصار في بقية المدن في فلسطين، بل ذكر الكاتب رضا عامر بأن «قصة مأساة مدينة غزة المحتلة كغيرها من المدن العربية المستهدفة كبغداد ودمشق وبيروت وغيرها من الدول الرمز التي باتت تناظل من أجل الحرية والوطن...»[50]. وقد نظم الشاعر والأكاديمي رفعت العرعير شعرًا باللغة الإنجليزية منذ سنوات، ونشره على حساباته في وسائل التواصل الاجتماعي قبل بضعة أيام من استشهاده في معركة طوفان الأقصى، والشعر بعنوان "If I Must Die" (إذا كان لا بد أن أموت):

If I must die, you have to live
To tell my stories, to sell my things
To buy a piece of cloth and some strings
(Make it white with a long tail)
So that a child, somewhere in Gaza
While looking heaven in the eye
Making it blush under his gaze
Awaiting his dad who left in a blaze-
And bid no one farewell
Not even to his flesh, not even to himself-
Sees the kite, my kite you made, flying up above,
And think for a moment an angel is there
Bringing back love
If I must die, let it bring hope
Let it be a tale[51].

النص المترجم إلى اللغة العربية[52]:

إذا كان لا بد أن أموت
فلا بد أن تعيش أنت
لتروي حكايتي
لتبيع أشيائي
وتشتري قطعة قماش
وخيوطًا
(فلتكن بيضاء وبذيل طويل)
كي يُبصر طفلٌ في مكان ما من غزة
وهو يحدّق في السماء
منتظرًا أباه الذي رحل فجأة
دون أن يودّع أحدًا
ولا حتى لحمه
أو ذاته
يبصر الطائرة الورقية
طائرتي الورقية التي صنعتَها أنت

[49] المرجع نفسه.
[50] عامر، رضا (2012م)، "قراءة في محنة غزة من خلال نماذج شعر المقاومة العربي"، *مجلة علوم اللغة العربية وآدبها*، المجلد: 4، العدد: 4، ص279.
[51] Alareer, Refaat R. (2014), *Gaza Writes back: Narrating Palestine*, Hawaii: University of Hawai'i Press, p. 537.
[52] النص المترجم موجود في موقع الأخبار الإلكتروني "الشرق الأخبر"، انظر: صالح، شريف (2023م)، الشرق الأخبر، *رفعت العرعير.. وقصيدة الشاعر الأخيرة*، تم استرجاعها في 19 ديسمبر 2023م، https://asharq.com/culture/74842/%D8%B1%D9%81%D8%B9%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%B9%D9%8A%D8%B1-%D9%88%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D8%B9%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D9%8A%D8%B1%D8%A9/.

تحلّق في الأعيالي
ويظن للحظة أن هناك ملاكًا
يعيد الحب
إذا كان لا بد أن أموت
فليأت موتي بالأمل
فليصبح حكاية.

فالشاعر لكونه من أبناء غزة، وعاش في غزة المحاصرة، يعرف الحصار والقسوة التي شاهدتها غزة المختلفة عن بقية المدن الفلسطينية، فحينما حدثت معركة طوفان الأقصى في غزة، دمرت غزة تدميرًا كبيرًا لا مثيل له، واستشهد عدد كبير من أهل غزة، وانقطعت سبل الحياة من كهرباء ومياه وغيرهما، وأصبحت الحياة في غزة طوال هذه المعركة حياة صعبة مليئة بالوجع والألم والحزن في حين أن العالم كله بقي صامتًا، وتُركت غزة لوحدها، وبهذه الحالة التي يرثى لها استعد أهل غزة كلهم للاستشهاد، حتى شاعرنا فأنزل في حساباته على وسائل التواصل الاجتماعي هذا الشعر، حيث ذكر للعالم كله أنه إذا مات –في هذه المعركة–، فلا بد أن هناك من سيحيا ليوصل إلى العالم الصامت ما حدث في قطاع غزة، حتى يشاهد العالم ويستدرك الظلم الذي يفعله المحتلون الظالمون، وحتى يعرف أبناؤهم جيلًا بعد جيل عن المحن التي عاشها آباؤهم لسنوات طويلة في مواجهة الاحتلال الصهيوني.
ثم نجد الشاعر مصعب أبو توهة من أصل غزاوي عبّر في شعره عن حالة جده الذي عاش في المنفى منتظراً لحظة العودة إلا أن الموت أخذه قبل أن يرجع إلى أرضه فلسطين، والشعر باللغة الانجليزية جاء بعنوان "My Grandfather and Home"، وهو شعر طويل، فالمقطع من هذا الشعر كما يلي:

I

My grandfather used to count the days for return with his fingers
He then used stones to count
Not enough
He used the clouds birds people

Absence turned out to be too long
Thirty-six years until he died
For us now it is over seventy years

My grandpa lost his memory
He forgot the numbers the people
He forgot home

II

I wish I were with you grandpa
I would have taught myself to write to you
Poems volumes of them and paint our home for you
I would have sewn you from soil
A garment decorated with plants
And trees you had grown
I would have made you
Perfume from oranges
And soap from the skies tears of joy
Couldn't think of something purer[53]

النص المترجم إلى اللغة العربية:

I

كان يعدّ جدي أيام العودة بأصابعه
ثم يستخدم الحجارة للعدّ
فلم تكن كافية
فاستخدم الغيوم والطيور والناس

مدة الغياب أصبحت طويلة

[53] Abu Toha, Mosab (2021), "Grandfather and Home" (in Poetry March 2021), *Sheridan Press*, Vol. 217, No. 6, p. 622.

ستة وثلاثون سنة حتى مات
وأكثر من سبعين سنة بالنسبة لنا الآن

فقد جدي ذاكرته
لقد نسي الرقم والناس
نسي المنزل

II

أتمنى أني معك يا جدي
سأعلّم نفسي أن أكتب لك
مجدلات من القصائد، وأدهن بيتنا لك
سأخيط لك من التراب
ثوبًا مزينًا بالنباتات
والأشجار التي زرعتها
سوف أصنع لك
عطرًا من البرتقال
وصابونًا من دموع السماء من الفرح
لا يمكن التفكير في شيء أكثر نقاءً

ففي هذا الشعر الجميل، قصّ الشاعر لنا حالة جده الذي عاش خارج فلسطين، وهذا للأسف أمر عادي حيث إن هناك عدداً ليس بقليل من الفلسطينيين الذين عاشوا مطرودين في المنفى بسبب احتلال أراضيهم، وهكذا كان جده الذي عاش في المنفى لسنوات طويلة أي لمدة ستة وثلاثين سنة، وقد ينتظر يومًا بعد يومٍ لحظة العودة إلى أرضه المشرفة، إلا أن الموت أتاه قبل أن تأتيه فرصة العودة. فذكر الشاعر أن جده إذا كان ما يزال على قيد الحياة، فسيكتب له الشاعر وسينظم له شعرًا كثيرًا، وسيرسم بيتًا خاصًا به، وسيصنع من الأشجار التي زرعها جده عطرًا من البرتقال، ولكن كل هذه الآمال أصبحت مجرد آلام وأحلام لن تتحقق؛ لأن جده قد انتقل إلى جوار ربه.

علاوة على هذا الشعر، وجدنا شعرًا جميلًا آخر بذات التعبيرات والمعاني العميقة، أبدعتها الشاعرة الغزاوية هبة أبو ندى في شعرها بعنوان "يا وحدنا"، ويجدر بالذكر أيضًا أن شاعرتنا قد استشهدت في معركة طوفان الأقصى، لكن كلماتها ستبقى راسخة رسوخ الجبل، فالشعر كالآتي:

يا وحدنا
ربح الجميع حروبهم
وتُركت أنت أمام وحدك عاريًا
لا شعر يا درويش
سوف يعيد ما خسر الوحيد وما فقد
يا وحدنا
هذا زمان جاهلي آخر
لُعن الذي في الحرب فرقنا به
وعلى جنازتك اتحد
يا وحدنا
الأرض سوق حرة
وبلادك الكبرى مزاد معتمد
يا وحدنا
هذا زمان جاهلي
لن يساندنا أحد
فامسح
قصائدك القديمة والجديدة
والبكاء
وشدي حيلك يا بلد[54]

من خلال هذه الأبيات الشعرية، نستطيع أن نشعر بالواقع المؤلم الذي يعيش فيه الفلسطينيون، حيث إن القضية الفلسطينية مع مرور الأيام أصبحت حكاية لا تُحكى. فعندما اشتعلت الحرب داخل فلسطين عمل الناس على نقل تلك الأخبار ونشر جرائم الاحتلال، ولكن هذا الأمر سيبقى لمدة محددة ولن تبقى القضية الفلسطينية هي القضية الأولى التي تشغل بال العالم. وأما المنظمات الكبيرة مثل منظمة التعاون الإسلامي (Organization of Islamic Cooperation) ومنظمة الأمم المتحدة (United Nations) فلا يزالون يعجزون عن حل هذه المشاكل مع عقدهم الاجتماعات واللقاءات الكثيرة لمناقشة هذه القضية، فهؤلاء يختبؤون وراء اسم الإنسانية متقاعسين عن

[54] Abu Nada, Hiba (n.d.), *Our Loneliness* (in Magazine of Arabic Literature in Translation- ARABLIT), retrieved on 20th December 2023, https://arablit.org/2023/12/04/our-loneliness-a-poem-by-hiba-abu-nada/.

مد يد العون لإخوانهم في فلسطين، فإلى الآن لا حل ولا قرار ولا اتفاق يمنع جرائم الاحتلال الصهيوني الغاشم، بل تُركت فلسطين – عامة–، وغزة –خاصة– لوحدها، فهذا ما حاولت شاعرتنا التعبير عنه، وقد صوّرت خلال كلماتها بأن الزمن المعاصر أصبح مثل الزمن الجاهلي القديم.

أما إذا تعمّقنا أكثر في النتاجات الأدبية التي تركز على موضوع مدينة غزة بشكل خاص، فإننا سنجد الشاعر المشهور محمود درويش سجّل صورة غزة في تعبيرات عميقة، وكلماته ليست مجرد كلمات شعرية إبداعية، وإنما هي صورة حقيقية مؤلمة أراد بها شاعرنا إبلاغها إلى العالم، والقصيدة بعنوان "صمت من أجل غزة":

ليست غزة أجمل المدن..
ليس شاطئها أشد زرقه من شواطئ المدن العربية الآخرى..
وليس برتقالها أجمل برتقال على حوض البحر الأبيض.
وليست غزة أغنى المدن..
(سمك وبرتقال ورمال وخيام تخذلها الريح. وبضائع مهرية، وسواعد تباع للشاري).

وليست أرقى المدن. وليست أكبر المدن. ولكنها تعادل تاريخ أمة. لأنها أشد قبحًا في عيون الأعداد، وفقرًا وبؤسًا وشراسة.. لأنها أشدنا قدرة على تعكير مزاج العدو وراحته. لأنها كابوسه. لأنها برتقال ملغوم وأطفال بدون طفولة، وشيوخ بلا شيخوخة، ونساء بلا رغبات. لأنها كذلك – فهي أجملنا وأصفانا وأغنانا وأكثرنا جدارة بالحب.[55]

هنا ذكر الشاعر أن غزة ليست أكبر المدن الفلسطينية، بل هي من أصغر المدن في فلسطين، وعلى الرغم من صغر حجمها فهي مقيدة بالحصار الذي تعانيه من قبل الاحتلال الصهيوني. وجرائم العدو الغاشم فيها أشد وأقبح من جرائمه في بقية المدن الفلسطينية. كما أن غزة ليست أجمل المدن، ولا أغناها، إلا أنها على الرغم من ذلك، فإنها كما أشار الشاعر تعادل تاريخ أمة. وكل من في غزة من أطفال ونساء ورجال وشيوخ عاشوا في الحصار مع حدوث المعارك المتتالية فيها إلا أن التاريخ شاهد على أن غزة لن تسقط ولن تستسلم ولو توانى عن نصرتها العالم أجمع، فأهلها هم المسؤولون عن تحريرها ونصرتها لا يضرهم في ذلك من خذلهم.

والأمثلة التي ذكرتها الباحثة آنفًا مجرد غيضٍ من فيضٍ تظهر أن هناك قصائد كثيرة وأشعار متعددة ومتنوعة كُتبت ونُشرت لأجل بثّ روح المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي للتحرك نحو الحرية. ولأن القدس متعلقة ومرتبطة جدا بالإسلام؛ لكونها «مهبط الرسالات وملتقى النبوات على امتداد التاريخ»[56]، فهي كما أشار الباحث والأديب محمد الحسناوي لا تسترد إلا بالحل الإسلامي[57]، أما الباحثة حليمة سويد الحمد فأكدت أن الحل الإسلامي هو الوسيلة لإنقاذ فلسطين[58]، وهذا الحل في المساحة الأدبية –كما ذكره الباحث محمد الحسناوي في دراسته عن أبعاد القضية الفلسطينية في قصائد الشاعر عبد الله شبيب– يتركز على بعض الأمور المهمة، منها أولاً: الاستمساك بحبل الله وبالميثاق الإسلامي، ورفض المبادئ التي تخالفه مثل المبادئ التي تدعو إلى الانتحار واليأس[59]، فطريق الجهاد والمقاومة لا يعرف اليأس والخيبة، وهي عملية مستمرة حتى تسترد القدس، والنصر مهما طال الزمن آتٍ. والأمر الثاني: بعد الاعتصام بالله، الاعتماد على الذات والذات هنا يعني الشعب[60]، فلا بد للشعب الفلسطيني خاصة وللمسلمين عامة أن يتوحدوا ولا يتفرقوا لأجل القدس، ولا يساهموا أبدًا مع الأعداء المحتلين، فمسؤولية تحرير القدس من دنس الاحتلال الإسرائيلي تقع على عاتقهم، ولا ينبغي لهم أن يضعفوا فإذا ضعف الشعب لن يبقَ هناك أمل بالتحرير. وثالثًا: الدعوة برفض الهجرة، والصمود والبقاء في الأرض وعدم تركها للاحتلال[61]، فأرض القدس ستظل حقاً لأهلها مهما حدث.

وكل هذه المحاور إذا تعمقنا فيها سنجد أنها في طياتها تحمل رسالة مهمة وهي كما لاحظت الباحثة لها قدرة على إثارة روح الجهاد لدى الشعب الفلسطيني خاصة وجميع الناس عامة؛ للدفاع عن أرض القدس المباركة. ولأن الأدب مرآة للمجتمع يعكس واقعه ويبيّنه للعالم، فعلى الأدباء الفلسطينيين إذن أن يحاولوا بقدر الإمكان إبراز القضية الفلسطينية في مؤلفاتهم حتى يعرف القراء ما تشهده تلك الأرض المحتلة، ثم يدعوهم إلى حمايتها؛ لأنها مسؤولية كل الناس، وليس أهل فلسطين فحسب. وأرادت الباحثة كذلك الإشارة إلى ما كتبته الباحثة كاميليا حسين في مقالتها بعنوان: "من غسان كنفاني إلى نوح إبراهيم .. لِمَ استهدفت دولة الاحتلال شعراء وأدباء فلسطين؟" حيث قالت بأن أدب المقاومة الفلسطينية ليست مجرد وسيلة للاتصال أو التعبير، وإنما قد تتحول إلى سلاح فعلي تعمل على نقل الصوت إلى العالم الخارجي الصامت، يعبر الحدود ويكسر الحصار[62].

ولاحظت الباحثة أيضا في نهاية الدراسة أن الأدب الفلسطيني والأدب الإسلامي الفلسطيني كلاهما يلعب دورا مهماً في تقديم القضية الفلسطينية للناس بشكل صحيح حتى يدركوا حقيقة الصراع مع العدو الإسرائيلي، وهذا مما يساعد على التعاون مع كافة الأطراف لحلها بأي وسيلة من الوسائل المناسبة.

---

[55] درويش، محمود (2007م)، *صمت من أجل غزة* (في كتاب يوميات الحزن العادي)، لبنان: رياض الريس للكتب والنشر، ص102-103.
[56] الحمد، حليمة بنت سويد (2003م)، المرجع نفسه، ص5.
[57] الحسناوي، محمد (2011م)، *فلسطين هي الأم*، تم استرجاعها في 21 ديسمبر 2022م، https://www.adabislami.org/magazine/2011/02/160/20.
[58] الحمد، حليمة بنت سويد (2003م)، المرجع نفسه، ص12.
[59] الحسناوي، محمد (2011م)، المرجع نفسه.
[60] المرجع نفسه.
[61] المرجع نفسه.
[62] حسين، كاميليا (2023م)، *من غسان كنفاني إلى نوح إبراهيم.. لمَ استهدفت دولة الاحتلال شعراء وأدباء فلسطين؟*، تم استرجاعها في 10 ديسمبر، 2023م https://www.aljazeera.net/midan/intellect/2023/10/28/%D9%85%D9%86-%D8%BA%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D9%83%D9%86%D9%81%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D9%86%D9%88%D8%AD-%D8%A5%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85-%D9%84%D9%90%D9%85%D9%8E.

الخلاصة

الأدب مرآة للمجتمع يبيّن ويظهر للعالم ما يجري من الأحداث، والأديب هو الذي يفسر الحالة الواقعية للمجتمع عبر تعبيراته الأدبية، أو بعبارة آخرى هو الناطق عن المجتمع، فحينما يبتكر ويبدع بقلمه، يعبّر عن الحالة الواقعية التي تحدث في مجتمعه. أما الأدباء والشعراء الفلسطينيين بشكل خاص، نظرًا لأنهم قد شاهدوا صراعًا الذي حدث بين العرب والإسرائيل منذ فترة طويلة، بل أكثر من ست عقود[63]، ونظرًا لأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني تعد أحد الصراعات الأكثر عنفًا ودمويةً بعد الحرب العالمي الثاني ما أدى إلى انتهاكات حقوق الإنسان[64]، فإنهم إذًا يستخدمون الكتابات الأدبية كوسيلة تعبيرعن تجاربهم في مواجهة الاحتلال لأرضهم، وقد صار هذا المحور موضوعاً رئيساً انشغل به الأدباء قديماً وحديثاً، فمن رحم المعاناة يخرج فن يحبه الناس ويميلون إليه. وبناء على هذا استخلصت الباحثة أن الأدب الفلسطيني يعد وسيلة مناسبة لإبراز القضية الفلسطينية، وإحدى وسائل علاجها، فهو إذن يلعب دورا مهماً في إثارة روح المقاومة لدى القراء أولاً، ثم ثانيًا نشر القضية الفلسطينية لتصل إلى كافة الناس في مختلف أرجاء العالم؛ لتشجيعهم على الدفاع عن الأرض المقدسة، ومن ثم تحريرها من قبضة المحتلين الإسرائيليين بأي وسيلة ممكنة ثالثًا.

الشكر والتقدير

تم تمويل هذا البحث من قبلRealmz Consultant PTY، من خلال المشروع المسجل في نظام إدارة البحوث لمركز إدارة البحوث بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا (SPI22-151-0151).

References

‘Āmir, Redhā (2021), “Qirāah Fi Mehnah Gazzah Min Khilāl Namāzij Syi’ru al-Muqāwamah al-‘Arabi”, *Majallah ‘Ulum li al-Lughah al-‘Arabiyyah wa Ādābiha*, Vol. 4, No. 4, 289-278.

A. Samad Said (1942), *Ballad of the lost map*, Aveling, Harry (trans.), Malaysia: Institut Terjemahan Negara Malaysia Berhad.

Abu Nada, Hiba (n.d.), *Our Loneliness* (in Magazine of Arabic Literature in Translation- ARABLIT), retrieved on 20th December 2023, https://arablit.org/2023/12/04/our-loneliness-a-poem-by-hiba-abu-nada/.

Abu Toha, Mosab (2021), “Grandfather and Home” (in Poetry March 2021), *Sheridan Press*, Vol. 217, No.6, 574- 669.

Alareer, Refaat R. (2014), *Gaza Writes back: Narrating Palestine*, Hawaii: University of Hawai’i Press.

Al-Hamad, Halimah Bint Suwayd (2003), *Al-Qadhiyyah al-Filastiniyyah fi al-Syi’ir al-Islāmy al-Mu’āsir*, 1st Ed., Riadh: Maktabah al-‘Abikān.

Al-Hasnāwi, Muhammad (2011), *Filastin Hiya al-Umm*, retrieved on 21st December 2022, https://www.adabislami.org/magazine/2011/02/160/20.

Al-Jāber, ‘Adnān Bulbul & Al- Hakwāti, Mājed (2001), *Diwān al- Syahid Muhammad Durrah*, Vol.3, Kitāb al- Iliktruni, Muassasah Jāizah ‘Abd al-‘Aziz Sa’ud al-Bābtin li al-Ibdā’ al-Syi’ri.

Al-Jayushi, Salmā al-Khadra’ (n.d), Wakālah al- Anbā’ wa al- Ma’lumāt al- Filastiniyyah, *Muqoddimah “al-Adab al-Filastini” fi al-‘Asr al-Hadith*, retrieved on 23rd November, 2023https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=2482.

Al-Kahlout, Yusuf Syahadah Muhammad (n.d), *Mukhtārat min Syi’ir Intifādah al-Aqsā*, Vol.1 retrieved on 24th December 2022, http://site.iugaza.edu.ps/ykahlout/extra/course1068/.

Al-Mādhi, Shukri ‘Aziz (1993), *Fi Nazariyāt al-Adab*, Beirut: Dār al-Muntakhab al-‘Araby.
Al-Mausu’ah al- Filastiniah (2013), *Al- Adab*, retrieved on 23rd November 2023, https://www.palestinapedia.net/%d8%a7%d9%84%d8%a3%d8%af%d8%a8/.

Al-Sārisi, ‘Umar ‘Abd al-Rahman (1996), *Maqālat fi al-Adab al-Islāmi*, ‘Ammān: Dār al-Furqān li al-Nasyr wa al-Tawzi’.

[63] Mohd Roslan (2010), “Konflik Israel-Palestin,” p. 73.
[64] Baranovich, Nadia & Moorthy, Ravichandran (2020), “Human Security and The Israel-Palestine Conflict: External vs. Internal Perspectives,” *Journal of International Studies*, Vol. 6, p. 82.

Al-Syarif, Māher (n.d), *Harb Huzayran/ Yuniu 1967 Nuqtah Tahawwul fi al-Sira' al-'Araby- al-Isrāili*, retrieved on 16th November 2022, https://www.palquest.org/ar/highlight/284/%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%AD%D8%B2%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%8A%D9%88%D9%86%D9%8A%D9%88-1967.

Alwadhaf, Yahya Hassan & Noritah Omar (2011), "Narrating the Nation and Its Other: The Emergence of Palestine in The Postcolonial Arabic Novel," *The Southeast Asian Journal of English Language Studies*, Vol.17, Special Issue, 109-119.

Baranovich, Nadia & Moorthy, Ravichandran (2020), "Human Security and The Israel-Palestine Conflict: External vs. Internal Perspectives," *Journal of International Studies*, Vol. 6, 82- 96.

Bawwabatu al-Syua'ara (n.d), *Qissah al-Quds:'Abd al-Ghany al-Tamimi*, retrieved on 19th December 2022, https://poetsgate.com/poem.php?pm=7787&name=%D8%B9%D8%A8%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%BA%D9%86%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%85%D9%8A%D9%85%D9%8A&Title=%D9%82%D8%B5%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3.

Darāwisyah, Husin 'Umar (2019), Daur al-Adab al- 'Araby al-Filastini wa Tajalliyātuhu fi Muwājahati Sirā' al- Huwwiyyah, *Majallah Midād al- Ādab*, al- 'Adad al- Khās bi al-Mu'tamarāt 2018-2019, 1172-1188.

Darwish, Mahmoud (2007), *Samt Min Ajli Gazzah* (Fi Kitāb Yawmiyyāt al-Huznu al-'Adi), Lubnan: Riādh al-Rais li al-Kutub wa al-Nashr.

Diwān (n.d.), *Qasidah Ya Quds!,* retrieved on 17th December 2022, https://diwandb.com/poem/%D9%8A%D8%A7-%D9%82%D8%AF%D8%B3.html.

Eid, Iyyad Muhammad & Norazzura Mohamad Diah (2018), "The Palestinians: Seventy Years of Refuge and Displacement," *Jurnal Al-Tamaddun*, Vol. 13, No.2, 161-174.

Jarār, Ma'mun Fariz (1984), *Al-Ittijāh al-Islāmi fi al-Syi'ir al- Filastini al- Hadith*, 'Ammān: Dār al-Basyir li al- Nasy wa al- Tawzi'.

Kanfāni, Ghassan (n.d.), *Adab al- Muqāwamah fi Filastin al- Muhtallah 1958-1966*, Beirut: Mansyurāt Dār al- Ādab.

Mohd Roslan Mohd Nor (2010), "Konflik Israel-Palestin dari aspek sejarah moden dan langkah pembebasan dari cengkaman Zionis," *Jurnal Al-Tamaddun*, Vol. 5, 73-92.

Musāwarah, Imān (2020), *Adab al-Sujjun fi Filastin Dirasah Tawthiqiyyah*, Syabakah Muharrarun al-Isdār al-Iliktruni.

Nur Farhana Mohamad Zainol & Nursafira Ahmad Safian (2021), A comparative study of poetic language between "Āsyiq min Filastin" by Mahmoud Darwish and "Talang di Langit Falastin" by Dheni Kurnia," *Asian Journal of Civilizational Studies*, Vol. 3, No. 2, 11-25.

Nusairah, Syainah (2021), Al-Manfā bi 'Uyun Filastini: Mahfoum al-Manfā fi Fikr Edward Sa'id, *Majallah Dafātir Muhkbir al-Syi'riyyah al-Jazāiriyyah*, Vol. 6, No. 2.

Rosengarten, Lillian (n.d.), *Poetry*, retrieved on 11th January 2023, https://www.lillianrosengarten.com/poetry.

Sāleh, Sharif (2023), Al- Syarq al-Akhbar, Refaat Alareer.. wa Qasidah al-Syā'ir al-Akhir, retrieved on 19th December 2023, https://asharq.com/culture/74842/%D8%B1%D9%81%D8%B9%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%B9%D9%8A%D8%B1-%D9%88%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9-

%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%A7%D8%B9%D8%B1-
%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D9%8A%D8%B1%D8%A9.

Wakālah al-Anbā' wa al-Ma'lumāt al-Filastiniyyah (2022), *Muhammad al-Durrah.. 22 'Āmān Māta al-Walad bi Rasāsah*, retrieved on 21st December 2022, https://www.wafa.ps/Pages/Details/56205.

Wakālah al-Anbā' wa al-Ma'lumāt al-Filastiniyyah (n.d), *Nakbah 'Ām 1948*, retrieved on 16th November 2022, https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=2218.

Wakālah al-Anbā' wa al-Ma'lumāt al-Filastiniyyah (n.d), *Youm Zikrā Wa'ad Balfour*, retrieved on 15th November 2022, https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=2n8Bx7a27458074050a2n8Bx7.

Ziyād, Mahmoud Musā Mahmoud (2006), A*l-Adab al-Filastini fi Sujun al-Ihtilāl al-Isrāili 1987-2000*, Palestine: Jāmi'ah Birzeit.